التحولات الدلالية لأساليب الشرط في العُشر الأخير من القرآن الكريم

دكتور
سامي علي محمد حمد

مدخل تمهيدي:

كثرت الدراسات حول القرآن الكريم ،ومازال الدارسون ينهلون من معينه الذي لا ينضب؛ذلك بأنه لا تنقضي عجائبه ، ولا تزول غرائبه، وكلما تقدمت الأفهام وتنوعت طرق وآليات الدراسة تعددت الدراسات وكثرت،وزاد الإقبال عليه ، وتطورت محاولة مقاربة

مضامينه،وأساليبه؛فالقرآن الكريم أحسن الحديث ،وملفوظه أجود الملفوظات ،ومعانيه أغنى المعاني وأدلها على القول البيّن.
والقرآن الكريم كتاب العربية الأول ،والأصلح لتمثيل لغة العرب، ولغته تُتخذ ميداناً لدراسة النحو.
من بين هذه الدراسات دراسة الأساليب القرآنية، للجملة الشرطية، فقد حظيت بالعديد من الدراسات في إطار النحو التراثي ،وخاصة الدراسات التي عُنيت بدراسة التفاسير القرآنية.
البحث يسلط الضوء على ذلك الأسلوب، من خلال طرحه لأسلوب الشرط من وجهة نظر تزاوج بين التراث والحداثة ،من خلال مناهج البحث الحديثة في علم اللغة النصي،عن طريق دراسة التحولات الدلالية لأسلوب الشرط في العُشر الأخير من القرآن الكريم.

أسلوب الشرط:

معنى أسلوب الشرط وعناصره:-

تعريفه :أسلوب يدلُّ على تلازم جملتين وارتباطهما بواسطة أداة تسمى أداة الشرط."أو هو:" ترتيب أمر على أمر آخر بأداة".[1]
يتألف أسلوب الشرط من ثلاثة عناصر، وهي.

- أداة الشرط.
- جملة الشرط.
- جملة جواب الشرط.أو جزاؤه.[2]

العلاقة بين جملة الشرط وجملة الجواب:

- وقوع جملة الجواب وتحققها مشروطٌ - في الغالب- بوقوع جملة الشرط، فإذا تحقق الشرط تحقق الجواب.
- الركنان في جملة الشرط(الشرط والجواب) يكونان فعلين مضارعين متلازمين في الأصل، إن وقع أحدهما وقع الآخر.

العلاقة بين الشرط والجزاء:

جاء في البرهان وقال صاحب المستوفي :"اعلم أن المجازاة لا يجب فيها أن يكون الجزاء موقوفاً على الشرط أبداً، ولا أن يكون الشرط موقوفاً على الجزاء أبداً بحيث يمكن وجوده ، ولا أن تكون نسبة الشرط دائماً إلى الجزاء نسبة السبب إلى المسبب ، بل الواجب فيها أن يكون الشرط بحيث إذا فرض حاصلاً لزم مع حصوله حصول الجزاء، سواء كان الجزاء قد يقع لا من جهة وقوع الشرط كقول الطبيب : منْ استحم بالماء البارد

احتقنت الحرارة باطن جسده ؛لأن احتقان الحرارة قد يكون لا عن ذلك، أو لم يكن كذلك، كقولك :إن كانت الشمس طالعة كان النهار موجوداً.

وسواء كان الشرط ممكناً في نفسه ، كالأمثلة السابقة ،أو مستحيلاً ، كما في قوله تعالى:" قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ العَابِدِينَ" (الزخرف81/43) وسواء كان لشرط سبباً في الجزاء ووصلة إليه، كقوله تعالى :(وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُم أُجُورَكُم وَلا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ) (محمد/36) أو كان الأمر بالعكس ، كقوله تعالى :(مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ)(النساء/79) أو كان لا هذا ولا ذاك ، فلا يقع إلا مجرد الدلالة على اقتران أحدهما بالآخر ، كقوله تعالى :" وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا "(الكهف/57)،إذ لا يجوز أن تكون الدعوة سبباً للضلال ومفضية إليه ، ولا أن يكون الضلال مفضياً إلى الدعوة."[3]

وجاء في حاشية الصبان الجزاء قسمان:

أحدهما: أن يكون مضمونه مسبباً عن مضمون الشرط ،نحو: إن جئتني أكرمتك.

والآخر: ألا يكون مضمون الجزاء مسبباً عن مضمون الشرط ، وإنما يكون الإخبار به مسبباً،نحو: إن تكرمني فقد أكرمتك أمس، والمعنى :إن اعتددت عليَّ بإكرامك إياي فأنا أيضاً أعتد عليك بإكرامي إياك."[4]

يتضح بهذا أن **العلاقة بين الشرط والجزاء** أنه إذا فرض حصول الشرط لزم مع حصوله حصول الجزاء، سواء كان الشرط ليس السبب الوحيد في الجزاء ، كقول الطبيب : منْ استحم بالماء البارد احتقنت الحرارة باطن جسده؛لأن احتقان الحرارة قد يكون مسبباً عن غير ذلك أو كان السبب الوحيد،كقوله تعالى:(وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُم أُجُورَكُم)،(محمد/36)أو كان مسبباً عن الجزاء ،كقوله تعالى :(مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ)(النساء/79)

وسواء كان الشرط ممكناً في نفسه، كالأمثلة السابقة، أو مستحيلاً كقوله تعالى:"فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ "(يونس/94)

أو كان لا هذا ولا ذاك، فلا يقع إلا مجرد الدلالة على اقتران أحدهما بالآخر، كقوله تعالى:" إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث:"(الأعراف/176) فلهث الكلب ليس مسبباً عن الحمل عليه أو تركه، فهو يلهث على كل حال، وليس سبباً في الحمل عليه.

واتضح أن الشرط ملزوم دائما والجزاء لازم،سواء أكان الشرط سبباً أو غير سبب.
وقد اتضح من خلال الشرط في العُشر الأخير في القرآن الكريم ما يأتي:-
1- الشرط هو السبب الوحيد في الجزاء. كقوله تعالى:" وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِن أَمْرِهِ يُسْرًا" (الطلاق/4) فالتقوى هنا هي السبب الوحيد لليسر الذي يحصل من عند الله تعالى.
2- مجئ الجواب المسبب عن الشرط بخلاف الظاهر. كقوله تعالى:" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُم أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فأُولَئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ" (المنافقون/9)
وقوله تعالى:" لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَاليَوْمَ الآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الغَنِيُّ الحَمِيدُ"(الممتحنة/6)
وقوله تعالى:" فإِذَا قُضِيتْ الصَّلاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكم تُفْلِحُونَ"(الجمعة/10)
3- الشرط ليس السبب الوحيد في الجزاء.كقوله تعالى:" فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَينِ مِن قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وِللكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ" (المجادلة4/58)
4- مجئ الشرط مسبباً عن الجزاء.كقوله تعالى:" وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ" (الحشر/9)
وكقوله تعالى:" وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ " (التغابن/9)
5- **اقتران أحدهما بالآخر.كقوله تعالى:"** فإِذَا قُضِيتْ الصَّلاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكم تُفْلِحُونَ" (الجمعة/10) فالانتشار والابتغاء من فضل الله تعالى على كل حال،سواء قضيت الصلاة أم لم تُقض.
الروابط اللفظية بين جملتي الشرط والجواب:-
تضافرت العوامل والأدوات اللفظية التي تربط بين الشرط وجوابه،وتعددت أشكالها، فمنها ما يتصل بأداة رابطة، أو إعراب مشترك، أو اشتراك في صيغة فعلي الشرط والجواب."ومعظم الأبحاث التي تحدثت عن الروابط اللفظية في أسلوب الشرط اكتفت بالحديث عن الأدوات (أدوات الشرط،والفاء،وإذا) وتحدث بعض الباحثين عن الجزم، وعدَّه رابطاً قوياً بين الشرط والجزاء ولكنها اكتفت بإشارات عابرة."[5]

وروابط الجزاء لا تجتمع كلها في أسلوب الشرط للربط بين الشرط وجوابه،ولا ينبغي لها أن تجتمع لتلك الغاية، فمنها ما لا غنى عنه، وهو أداة الشرط التي تفيد التعليق والربط،ومنها ما هو أصل،إن غاب حلَّ محله فرعٌ،وهذا ما يكشف عنه نص سيبويه القائل:" واعلم أنه لا يكون جواب الجزاء إلا بفعل أو بالفاء."[6]

فالفعل أولاً؛لأنه الأصل، فإذا لم يكن الجواب بفعلٍ كان الربط بالفاء؛لأنها فرع ، وهي تحل محل الفعل في أنها رابطة بين الشرط والجزاء؛لكون معنى الفعل متحقق فيها، كما يقول المبرِّد:"فالأصلُ الفعلُ والفاء داخلةٌ عليه؛لأنها تؤدي معناه؛لأنها لا تقع إلا ومعنى الجزاء فيها موجود."[7]

أولاً: الربط بأدوات الشرط:-

تعدُّ أداة الشرط بؤرة نشطة لاحتواء الربط بين جملتي الشرط والجواب،ولا يتم الجزاء من دونها؛ لأنها هي التي تقوم بتعليق الجواب على الشرط، يقول ابن السراج في معرض حديثه عن الحرف:" وأما ربطه جملة بجملة فنحو قولك: إنْ يقمْ زيدٌ يقعُد عمرو. وكان أصل الكلام :يقوم زيد،يقعد عمرو،فـ(يقوم زيدٌ) ليس متصلاً بـ(يقعد عمرو) ولا منه في شيء، فلما دخلت(إنْ) جعلت إحدى الجملتين شرطاً والأخرى جواباً."[8]

فابن السراج يُبيّن من خلال هذا النص أن ثمة جملتين لا علاقة بينهما، ثم جاء الحرف وربط بينهما، بحيث جعل الأولى شرطاً والثانية جواباً."[9]

وقد أوضح ابن يعيش السبب الذي من أجله كانت أدوات الشرط رابطة بين جملتين،وهو يرتبط بالمعنى الوظيفي لهذه الأدوات؛لأنها تدخل على جملتين فتعلق إحداهما بالأخرى،يقول ابن يعيش:"إنَّ(إنْ) الشرطيةَ تدخُل على جملتين فعليتين، فتُعلق إحداهما بالأخرى، وتربط كلَّ واحدةٍ منهما بصاحبتها حتى لا تنفرد إحداهما عن الأخرى."[10]

وذلك كقوله تعالى:" قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُم أَنَّكُم أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا المَوتَ إِنْ كُنْتُم صَادِقِينَ"(الجمعة/6)

ومنه قوله تعالى:" إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ" (التغابن/17)

ثانياً: الربط باتفاق جملة الفعل بين الشرط والجواب (مضارع + مضارع) ،(ماضٍ+ ماضٍ)

من أهم الروابط بين الشرط والجزاء اتفاق صيغة الفعل ؛ فاتفاق صيغة الفعل من شأنه أن يجعل هناك انسجاماً وتعاضداً بين أركان الجملة الشرطية.وقد ذكر النحاة هذا الرابط في ثنايا كلامه وإن لم يصرَّحوا بكونه رابطاً من روابط الشرط بالجزاء، ،وإنما يُفهم ذلك من تركيزه على بيان صيغة الشرط والجواب، وأن الأصل فيهما أن يكونا جملتين فعليتين،وفعلهما مضارع،أو فعلهما ماضٍ.

وقد ذكر النحاة أن أصل الجزاء أن يكون بالأفعال ،وجزم ابنُ يعيش بأنه لا يصح الشرط إلا بالأفعال، وعلل ذلك بأن الشرط علة وسبب لوجود الثاني ،والأسباب لا تكون بالأسماء الجامدة، وإنما تكون بالأعراض والأفعال، وأما الجزاء فأصله أن يكون بالفعل أيضاً؛لأنه شيء موقوف دخوله في الوجود على دخول شرطه، والأفعال هي التي تحدث وتنقضي،ويتوقف وجود بعضها على بعضٍ، لاسيما الفعل المجزوم؛لأن المجزوم لا يكون إلا مرتبطاً بما قبله،ولا يصح الابتداء به من غير تقدُّم حرف الجزم عليه."[11]

أما جواب الشرط فأصله أن يكون بالأفعال ،وقد يخرج عن هذا الأصل، فيكون بالأسماء إذا دخل عليه حرف الفاء ؛لأن معنى الفعل موجود فيها.يقول ابن الوراق:" واعلم أن الأصل في باب الشرط والجزاء أن يكونا مضارعين ،كقولك :إنْ تضربْ أضربْ؛لأن حقيقة الشرط بالاستقبال،فوجب أن يكون اللفظ على ذلك ،ويجوز أن يقعا ماضيين؛لأن الماضي أخف من المضارع،فاستعملوه لخفته،وأمنوا اللبس؛إذ كانت حروف الشرط تدل على الاستقبال."[12]

وجودة هاتين الصورتين إنما مردها إلى اتفاق صيغة الفعل في الشرط والجزاء، يقول سيبويه :" وأحسن ذلك أن تقول :إن تأتني لا آتِك. كما أن أحسن الكلام أن تقول: إن آتيتني لم آتِك.وذلك أنَّ(لم أفعلْ) نفي(فعلَ) وهو مجزوم بـ (لم) ،و(لا أفعل) نفي (أفعلُ) وهو مجزوم بالجزاء.فإذا قلت: إن تفعلْ. فأحسن الكلام أن يكون الجواب(أفعلْ)؛لأنه نظيره من الفعل،وإذا قال: فأحسن الكلام أن تقول:فعلتُ؛لأنه مثله، فكما ضعُف(فعلتُ) مع(أفعلْ) و(أفعلْ) مع(فعلت) قبُح(لم أفعلْ) مع (يفعل)؛لأنه(لم أفعل) نفيُ(فعلتُ)،وقبُح(لا أفعلُ) مع(فعَلَ)؛لأنها نفي (أفعلُ)"[13]

نلحظ أنه يربط بين حُسن الكلام واتفاق صيغة الفعل في الشرط والجواب، فإذا كان الشرط بفعل مضارع فأحسن الكلام أن يكون الجواب

بفعل مضارع ؛لأنه نظيره من الفعل، وإذا كان الشرط بفعلٍ ماضٍ فأحسن الكلام أن يكون الجواب بفعلٍ ماضٍ ؛لأنه مثله.

واتفاق زمن الفعل بين الشرط والجواب قد يكون لفظاً ومعنىً،وقد يكون معنىً فقط،ولذلك فالفعل المضارع المنفي بـ(لم)في الشرط يُجاب بفعلٍ ماضٍ ويقبُح أن يُجاب بالمضارع المثبت؛لأنه يخالفه ،والفعل المضارع المثبت في الشرط يُجاب بفعل مضارع منفي بـ(لا)،ويقبُح أن يُجاب بالمضارع المنفي بـ(لم)؛لأنه يخالفه ؛لأن (لم) تقلب زمن المضارع إلى الماضي.

وليس معنى ما تقدم ألا يخالف الجوابُ الشرطَ زمناً على الإطلاق، فقد يخالفه، ولكن ينتج عن هذه المخالفة صورتان:إحداهما ضعيفة والأخرى قبيحة ،وقد ذكرهما ابنُ الوراق في قوله:" ويجوز أن يكون الأول ماضياً والجواب مضارعاً ،وليس كحُسن الأوَّلين؛لأنك خالفتَ بين الشرط والجواب،وهما متساويان في الحكم ،وأما إن جعلت الشرط مضارعاً والجواب أيضا، فهو قبيح ،والفصل بينهما:أن الشرط إذا كان مضارعاً، وقد عملت فيه(إن) فقبيح أن يأتي لفظ الجواب مخالفاً لا أوجبه الحرف العامل"[14]

والأمثلة على اتفاق فعل الشط وجوابه في العُشر الأخير كثيرة ومنها قوله تعالى:"فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَو فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ"(الطلاق/3)

وقوله تعالى:" وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِن أَمْرِهِ يُسْرًا" (الطلاق/4)

وقوله تعالى:" إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ (الملك/7)

ومنه قوله تعالى:" إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا " (التحريم/4) يقول محي الدين الدرويش في إعراب القرآن:" إن شرطية ،وتتوبا فعل الشرط ،وعلامة جزمه حذف النون،والألف فاعل،وإلى الله تعلقان تتوبا،وجواب الشرط محذوف تقديره :يتب عليكما،والفاء تعليلية."[15]

يقول الإمام الطاهر بن عاشور: وإذا كان المخاطب مثنى كانت صيغة الجمع في قلوب مستعملة في الاثنين طلبا لخفة اللفظ عند إضافته إلى ضمير المثنى كراهية اجتماع مثنيين فإن صيغة التثنية ثقيلة لقلة دورانها في الكلام فلما أمن اللبس ساغ التعبير بصيغة الجمع عن التثنية."[16].

وقوله تعالى:"وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الهُدَى آَمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلا يَخَافُ بَخْسًا وَلا رَهَقًا (الجن/13)

وكذا قوله تعالى:" إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ" (القلم/15)

ويتضح من ذلك أنه كلما كان الشرط والجواب متفقين في الصيغة الزمنية كان ذلك عاملاً قوياً على ترابطهما وتآزرهما..وإذا خالف زمن الجواب الشرط أدى إلى ضعف الترابط بينهما ،ولا تجوز تلك الصيغة إلا بتأويل،كوقوع المستقبل بلفظ الماضي لما فيه من الدلالة على التحقيق وتوكيد وقوع الفعل.

ثالثاً: الربط بالجزم:

عدَّ النحاة الجزم عاملاً مهماً دالاً على الجزاء ورابطًا الشرط بالجواب،والجزم عند النحاة القدماء هو أساس الجزاء وعنوانه،فالجزم والجزاء أمران لا ينفكان ولا يتعارضان.

ويدل على ذلك أن النحاة القدماء ليس لديهم ما يُسمَّى بأدوات الشرط الجازمة وغير الجازمة .وإنما لديهم حروف الجزاء وأدوات الجزاء فقط،وكلها أدوات جازمة. أمَّا ما اصطلح عليه المتأخرون بأنه أدوات غير جازمة فلم يعدَّه النحاة القدماء من أدوات الشرط أصلاً، ولكنهم حملوه على أدوات الشرط لما فيه من معنى التعليق والإبهام.

"وحملهم تلك الأدوات غير الجازمة على أدوات الشرط إنما يدل على اعتدادهم الشديد بالجزم في إفادة الجزاء، وعدم الاكتفاء بما تفيده الأداة من تعليق جملة على أخرى."[17]

فأدوات الشرط لدى سيبويه هي:" ما يُجازى به من الأسماء غير الظروف: مَنْ، وما ، وأيُّهم، وما يُجازى به من الظروف :أيُّ حينٍ ،ومتى،وأينَ،وأنَّى، وحيثُما ،ومن غيرهما:إنْ ، وإذْ ما".[18]

فيتضح من هذا النص أنه لا يعدُّ(كيف) ولا(ولو) ولا(إذا) ولا غيرهما (من الأدوات غير الجازمة) من أدوات الشرط،والسبب في ذلك هو أن هذه الأدوات لا تجزم.

والنحاة القدماء لم يُخرجوا تلك الأدوات المهملة(غير الجازمة) من حيز الجزاء مطلقاً، ولكنهم تحدثوا عنها بما يشي بالجزاء، ولم يعدوها من أدواته صراحة، بل حملوها على أدوات الجزاء ،وما دعاهم إلى ذلك أن هذه الأدوات تفيد معنى الشرط، حيث يتوفر فيها تعليق الجواب على الشرط،ولكنه لا يتوفر فيها رابط الجزم، فحملوها على أدوات الشرط لأجل المعنى، ولم يجعلوها ضمن أدوات الشرط صراحة لفقدان معنى الجزم بها.

يرى ابن الوراق أنَّ اختيار الجزم دون غيره من حالات الإعراب يرجع إلى الرغبة في التخفيف؛لأن الكلام طال بالشرط وجوابه،فاختير له الجزم؛لأنه حذف وتخفيف."[19]

بينما علل ابن يعيش اختيار الجزم دون غيره من أنواع الإعراب ليكون رابطاً بين الشرط والجزاء بأنَّ معنى الجزاء مختص بالأفعال وليس للأسماء فيه نصيب؛لذلك ناسب أن تعمل الحروف التي تختص بالأفعال الجزم."[20]

رابعاً: الربط بالفاء:-

الفاء التي تقع في جواب الشرط تقع بديلة عن الفعل المضارع المجزوم في الجواب، فقد جزم النحاة بأنَّ جواب الشرط إذا لم يكن فعلا مضارعاً مجزوماً فلابد أن تتصدره الفاء يقول سيبويه:" واعلم أنه لا يكون جواب الجزاء إلا بفعل أو بالفاء، فأمَّا الجواب بالفعل فنحو قولك:إن تأتني آتِك ،وإن تضرب أضربْ، ونحو ذلك، وأمَّا الجواب بالفاء فقولك: إن تأتني فأنا صاحبُك،ولا يكون الجواب في هذا الموضوع بالواو ولا بثُمَّ.ألا ترى الرجل يقول:افعلْ كذا وكذا .فتقول: فإذن يكون كذا وكذا،ويقول: لم أغثْ أمس.فتقول: فقد أتاك الغوثُ اليومَ.ولو أدخلت الواو وثمَّ في هذا الموضع تُريد الجواب لم يجز."[21]

ويكاد النحاة يجمعون على متابعة سيبويه في قوله الذي ذهب فيه إلى أنه لا يكون جواب الجزاء إلا بفعل أو بالفاء.[22]

ويقول السيرافي في توضيح ذلك:"والذي أحوج إلى إدخال الفاء في جواب الجزاء أنَّ أصل الجواب أن يكون فعلاً مستقبلاً؛لأنه شيء مضمون فعله إذا فُعِلَ الشرط أو وُجِدَ مجزوماً مُلتبساً بما قبله من الشرط ،و(إنْ) هي التي تربط أحدهما بالآخر ولا يقعان موقع فعل مجزوم، فأتوا بحرف يقع بعده الابتداء والخبر، وجعلوه مع ما بعده في موضع الجواب،واختاروا الفاء دون الواو وثُمَّ؛لأن حق الجواب أن يكون عُقيب الشرط متصلاً به،والفاء تُوجب ذلك."[23]

وتابع ابن الوراق السيرافيَّ في رأيه هذا حيث قال:" وإنما وجب إدخال الفاء ؛لأن المبتدأ والخبر جملة تقوم بنفسها،وليس لـ(إن) فيها تأثير،لأنها ليست من عوامل الأسماء فلو جاز أن يلي المبتدأ والخبر الشرط ،لم يعلم أنه

متعلق به ، وجاز أن يعتقد انقطاعه مما قبله ، فأدخلوا الفاء ليصل ما بعدها بما قبلها."[24]

وعلل اختيار الفاء دون غيرها من حروف العطف حيث كانت الفاء:" أولى سائر حروف العطف؛لأنها توجب أن يكون ما بعدها عقيب ما قبلها،وليس(الواو) كذلك،لأنها توجب الجمع بين شيئين،ولا يكون لفظها دلالة على أن الجواب يستحق بوقوع الشرط، ولم يجز استعمال(ثمَّ) ؛لأنها للتراخي، فإذا اعتقد المشروط له تراخي الجزاء عن وقوع فعله ، لم يحرص على الفعل،فلذلك لم يجز استعمال (ثمَّ) واستعملت الفاء لما ذكرناه."[25]

يتضح مما سبق عرضه أن الفاء جئ بها في جواب الشرط لأسباب عديدة وهي:-

الأول: أنها تدخل على ما يُبتدئ به الكلام وتربطه بما قبله.

الثاني: أن حق الجزاء أن يكون عقيب الشرط، والفاء توجب ذلك دون الواو وثم.

الثالث:أن فيها معنى الجزاء ، حيث تجعل ما قبلها سبباً لحدوث ما بعدها ،وهذا لا يتحقق في غيرها من الحروف.

أما عن الجمل التي تُصدر بالفاء في جواب الشرط ، فهي كل جملة صالحة للابتداء،مثل الجمل الاسمية ،والجملة الطلبية، والجملة الفعلية المصدرة بحرف تنفيس أو بحرف نفي أو بالحرف (قد).

كقوله تعالى:"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِن الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُم إِنْ كُنْتُم خَرَجْتُم جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيهِمْ بِالمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُم وَمَا أَعْلَنْتُم وَمَن يَفْعَلْهُ مِنْكُم فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ" (الممتحنة/1)

وقوله تعالى:" لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَاليَوْمَ الآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الغَنِيُّ الحَمِيدُ "(الممتحنة/6)

وقوله تعالى:"فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الكُفَّارِ"(الممتحنة/10)

وكذا قوله تعالى:" قُلْ إِنَّ الَموتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فإِنَّه مُلاقِيكُم ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الغَيبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنْتُم تَعْمَلُونَ" (الجمعة/8)

وقوله تعالى:" وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ المَوتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِّن الصَّالِحِينَ" (المنافقون/10)

وقوله تعالى:" وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الهُدَى آَمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلا يَخَافُ بَخْسًا وَلا رَهَقًا (الجن/13)

جملة(فَلا يَخَافُ بَخْسًا وَلا رَهَقًا) (الجن/13) جواب لشرط(من) جعلت بصورة الجملة الاسمية فقرنت بالفاء مع أن ما بعد الفاء فعل، وشأن جواب الشرط أن لا يقترن بالفاء إلا إذا كان غير صالح لأن يكون فعل الشرط فكان اقترانه بالفاء وهو فعل مضارع مشيراً إلى إرادة جعله خبر مبتدأ محذوف بحيث تكون الجملة اسمية، والاسمية تقترن بالفاء إذا وقعت جواب شرط، فكان التقدير هنا: فهو لا يخاف ليكون دالا على تحقيق سلامته من خوف البخس والرهق،وليدل على اختصاصه بذلك دون غيره الذي لا يؤمن بربه، فتقدير المسند إليه قبل الخبر الفعلي يقتضي التخصيص تارة والتقوى أخرى وقد يجتمعان. وقد نقول: إن العدول عن تجريد الفعل من الفاء وعن جزمه لدفع إيهام أن تكون (لا) ناهية ، فهذا العدول صراحة في إرادة الوعد دون احتمال إرادة النهي.

خامساً: الربط بـ(إذا):-

يرى الخليل وسيبويه أن الربط بـ(إذا) كالربط بالفاء، من حيث إنها تربط الكلام الثاني بالأول ، وهناك ثلاثة أمور يُسوّي بين الربط بالفاء والربط بـ(إذا):-

الأول: إن (إذا) وما بعدها كلام معلق بالكلام الأول تعليق الجواب على الشرط ، كما كانت الفاء وما بعدها معلقة بالكلام الأول تعليق الجواب على الشرط.

الثاني: يختص بموضع الجملة التي تقع بعد الفاء و(إذا) فإنها في موضع الفعل ، فإذا حذفتها ووضعت مكانها الفعل فالكلام مستقيم.

الثالث:أنَّ كلاً من الفاء و(إذا) لا تجئ في صدر جملة مبتدأةٍ أو مستأنفةٍ ،وإنما يربطان كلامًا لاحقًا بكلام سابق.

ومن ثمَّ استحقت (إذا) أن تحلَّ محل الفاء في الربط بين جملة الجواب وجملة الشرط في المواضع التي يُجاب فيها بغير الفعل.

المقصود بأدوات الشرط والعلاقة بين الشرط والجزاء:

أدوات الشرط:هي كلم وُضِعت للربط بين جملتين، فتجعل بينهما تلازماً لم يُفهم من دونها."[26]

أنواع أدوات الشرط:

أولا: أدوات الشرط الجازمة:

قال الأشموني (ت 918هـ) [27] في شرحه على ألفية ابن مالك :" ولما فرغ مما يجزم فعلاً واحداً انتقل إلى ما يجزم فعلين فقال:

واجزم بإن ومن وما ومهما أي متى أيان أين إذ ما وحيثما أَّى

فهذه إحدى عشرة أداة كلها تجزم فعلين".

وعقب الصبان (1206هـ)[28] على قوله :" إلى ما يجزم فعلين "،وقال في حاشيته :" قوله: إلى ما يجزم فعلين: أي غالبا، وإلا فقد يجزم فعلاً وجملة، كما إذا كان الجزاء جملة مقرونة بالفاء أو إذا الفجائية فإن محلها الجزم."

ثانياً: أدوات الشرط غير الجازمة:

تطلق تسمية **أدوات الشرط غير الجازمة** على تلك الأدوات الشرطية التي لا تؤثر جزما على الفعل المضارع، إلا أن المعنى التعليقي موجود في هذه الأدوات. نحو قوله تعالى: (إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ)(القلم :15).وقوله تعالى:(وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ)(يوسف:65) وقوله تعالى:(فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ المُفْلِحِينَ)(القصص:67) .

أنواعها: تنقسم أدوات الشرط غير الجازمة إلى نوعين :

1- أدوات شرط امتناعية.

2- أدوات شرط غير امتناعية.

أولا ـ أدوات الشرط الامتناعية وهي : ـ

لو ، لولا ، لوما.

المقصود من الامتناع أن الربط بين جملتي الشرط والجواب، يكون ربطا سلبيا.فالتعليق لم يكن لتوقف وجود الجواب على وجود الشرط، وإنما لأن الربط بين الشرط والجواب يقوم على انعدام الجواب لانعدام الشرط، كما هو الحال في " لو"،وقد يكون انعدام الجواب لوجود الشرط كما هو الحال

في" لولا "،و" لوما "، وذلك يعني أن الامتناع قد يكون للجواب والشرط معا كما في " لو "،وقد يكون الامتناع للجواب دون الشرط كما في " لولا " ، و" لوما ".

وهذه أمثلة وشواهد مفصلة على ذلك : ـ

*** لو : حرف شرط غير جازم يربط بين جملتي الشرط ، والجواب**، ويفيد امتناع لامتناع. أي: امتناع الجواب لامتناع الشرط ، وهو للتعليق في الزمن الماضي،ويقترن جوابه بـ" اللام " مطلقا، إذا كان ماضيا متبثا، ويتجرد منها إذا كان منفيا.

نحو: لو درست جيدا لنجحت في الامتحان.ولو بكرت في الحضور ما عاقبناك.

ومنه قوله تعالى : (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا) (الحشر:31)

وقد جاز اقتران جواب لو، ولولا المنفي باللام في الشعر . كقول الشاعر:

لولا رجاء الظالمين لما أبقت نواهم لنا روحا ولا جسدا

وتأتي" لو " الشرطية بمعنى" إن " الشرطية،ولكنها غير جازمة، فيليها فعل مضارع دال على الاستقبال.

كقوله تعالى:(وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً)(النساء:8)

أو ماض فتصرفه إلى الاستقبال .

نحو قوله تعالى:(وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ)(يوسف:17) .

ـ وقد تأتي "أن" المشبهة بالفعل بعد "لو" وللنحاة في إعرابها وجوه .

أعربها سيبويه: في محل رفع مبتدأ حذف خبره.نحو قوله تعالى:(وَلَو أَنَّهُمْ صَبَرُوا)(الحجرات:5)

*** لولا** : **حرف شرط غير جازم يفيد امتناع الجواب لوجود الشرط** . أي : امتناع لوجود، وهي مركبة من " لو "و" لا " الزائدة،ويليها دائما اسم مرفوع يعرب مبتدأ،وخبره محذوف وجوبا، ويقترن جوابها باللام كثيرا إذا كان ماضيا مثبتا، ويتجرد منها إذا كان منفيا.نحو: لولا الله لوقع حادث أليم ،و: لولا والدك ما حضرت .ومنه قوله تعالى : "وَلَوْلا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الجَلاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ" (الحشر/3): ولولا حرف امتناع لوجود ، تفيد امتناع جوابها لأجل وجود شرطها،أي وجود تقدير الله جلاءهم سبب لانتفاء تعذيب الله إياهم في الدنيا بعذاب آخر.

وقد يتجرد جوابها من اللام. كقول أبي العطاء السندي :

لولا أبوك ولولا قبله عمر ألقت إليك معد بالمقاليد

*** لوما : حرف شرط غير جازم يفيد امتناع الجواب لوجود الشرط .**
أي : امتناع لوجود ،وهي مركبة من " لو " ،و " ما " الزائدة.
نحو: لوما الكتابة لضاع معظم العلوم. ونحو: لوما الشوق لم أكتب إليك .
ومنه قول الشاعر :
لوما الإصاخة للوشاة لكان لي من بعد سخطك في رضاك رجاء
ثانيا : أدوات الشرط غير الامتناعية :[29]
أما النوع الثاني من أدوات الشرط غير الجازمة، فيطلق عليه أدوات الشرط غير الامتناعية، أي: أن الشرط في هذا المقام لا يفيد الامتناع كما هو الحال في" لو " وأخواتها، وإنما يفيد مجرد التعليق، والربط بين جملتي الشرط والجواب، مثله تماما مثل أدوات الشرط الجازمة.
وأدوات الشرط غير الجازمة الامتناعية هي: -
إذا ، أمَّا ، لمَّا ، كلَّما . وإليكها بالتفصيل.
*** إذا : أداة شرط غير جازمة لما يستقبل من الزمان** ، تفيد الربط بين جملة الشرط ، وجوابه ، ولا يليها إلا الفعل ظاهرا ، أو مقدرا .
فمثال مجيء الفعل بعدها ظاهرا قولهم: إذا حضر الماء بطل التيمم.
ومنه قوله تعالى : إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ)(الملك:7)
وقوله تعالى : (ذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ)(المنافقون/1).
ومثال مجيئه مقدرا : قول أبي فراس الحمداني :
إذا الليل أضواني بسطت له يد الهوى وأذللت دمعا من خلائقه الكبر
ومنه قول المتنبي :
إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا
ومنه قول بشار بن برد :
إذا أنت لم تشرب مرارا على القذى ضمئت وأي الناس تصفو مشاربه
وعندما يجيء الفعل بعد إذا مقدرا يليها اسم ظاهر،أو ضمير ، كما في الأبيات السابقة ،وعندئذ يعرب الاسم ، أو الضمير فاعلا لفعل محذوف يفسره الفعل الظاهر ، وقد استحسن النحاة هذا الوجه . وقد أجاز سيبويه إعراب الاسم ، أو الضمير الواقع بعد " إذا " مبتدأ ، إذا كان الخبر فعلا ، وأجاز الأخفش ،وابن مالك وقوع المبتدأ بعدها بلا شرط .
*** أمَّا : أداة شرط غير جازمة، تفيد تفصيل الجمل وتوكيدها،** وتطلب جوابا لنيابتها عن أداة الشرط " مهما " وفعلها ، وتلزم الفاء جوابها ، ولا يليها إلا الاسم سواء أكان مبتدأ ، نحو : أما عليٌّ فمجتهد ، وأما أحمدُ فمؤدب.

ومنــه قولــه تعــالى:(أَمَّــا السَّــفِينَةُ فَكَانَــتْ لمَسَــاكِينَ يَعْمَلُــونَ فِــي البَحْرِ)(الكهف/79)

ـ أو خبرا نحو : أمَّا حاضر فمحمد .

ـ أو مفعولا بـه تقدم على فعلـه . نحـو : أمـا المجتهد فيكافأ ، وأمـا المهمل فيعاقب.

ومنه قوله تعالى: (فَأَمَّا اليَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ * وَأَمَّا السَائِلَ فَلا تَنْهَرْ)(الضحى/9-10)

ـ أو جارا ومجرورا . نحو : أما لفعل الخير فنعم ، وأما لغيره فلا أفعل.

ومنه قوله تعالى : وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ)(الضحى:11).

*** لمَّـا : أداة شـرط غيـر جازمـة تفيـد التعليـق ، وتخـتص بالـدخول علـى الأفعال الماضية**،مبنية على السكون في محل نصب على الظرفية الزمانية بمعنى"حين".

نحو : لما حضرت والدي الوفاة أوصاني بتقوى الله.

ومنــه قولــه تعالى:(فَلَمَّــا جَهَّــزَهُمْ بِجَهَــازِهِمْ جَعَــلَ السِّــقَايَةَ فِــي رَحْــلِ أَخِيهِ)(يوسف:70).

وقوله تعالى:" وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولَ اللَّهِ إِلَيْكُمْ **فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لا يَهْدِي القَوْمَ الفَاسِقِينَ" (الصف/5)**

*** كلما : أداة شرط غير جازمة**، مركبة من " كل " ،و" ما " المصدرية، نائبة عن الظرف الزماني في محل نصب ، تفيد التكرار ، ولا يليها إلا الماضي شرطا وجوابا ، والعامل فيها جوابها".[30]

نحو : كلما سألني المعلم أجبته على سؤاله .

ومنــه قولــه تعــالى :(تَكَــادُ تَمَيَّــزُ مِــن الغَــيْظِ كُلَّمَــا أُلْقِــيَ فِيهَــا فَــوْجٌ سَــأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا)(الملك:8).

ومنه قول المتنبي :

كلما رحبت بنا الروض قلنا حلب قصدنا وأنت السبيل

*****

الـدلالـة لغـة:

ورد في لسان العرب:"فلان يدل على أقرانه كالبازي يدل على صيده ، وهو يدل بفلان أي يثق به، وأدل الرجل على أقرانه أخذهم من فوق، وأدل البازي على صيده ،ودله على الشيء يدله دلاً ودلالة فاندل : سدده إليه.

والدليل ما يستدل به، والدليل الذي يدلك، والدليل يدل على الدلالة والجمع أدلة وأدلاء،والاسم الدلالة،والدلالة بالكسر والفتح."[31]

ودلّ عليه وإليه دلالة أرشده، ويُقال دله على الطريق ونحوه ، سدده إليه فهو دال، والمفعول مدلول عليه وإليه، واستدل عليه طلب أن يدله عليه ، وبالشيء على الشيء ، اتخذه دليلاً عليه ، والدلالة الإرشاد وما يقتضيه اللفظ عند إطلاقه."[32]

الدلالة في الاصطلاح:

هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر ، والشيء الأول هو الدال والثاني هو المدلول، وكيفية دلالة اللفظ على المعنى باصطلاح علماء الأصول محصورة في عبارة النص وإشارة النص ودلالة النص واقتضاء النص ،ووجه ضبطه أن الحكم المستفاد من النظم إما أن يكون ثابتاً بنفس النظم أو لا، والأول إن كان النظم مسبوقاً له فهو العبارة وإلا فالإشارة ،والثاني إن كان الحكم مفهوما بمعنى اللفظ لغة فهو الدلالة أو شرعاً فهو الاقتضاء، فدلالة النص عبارة عما ثبت بمعنى النص لغة لا اجتهادا ،فقوله لغة أي يعرفه كل منْ يعرف هذا اللسان بمجرد سماع اللفظ من غير تأمل."[33]

عرَّف الدكتور أحمد مختار عمر علم الدلالة بأنه:" العلم الذي يدرس المعنى، أو ذلك العلم الذي يدرس نظرية المعنى،أو ذلك العلم الذي يدرس الشروط الواجب توافرها حتى يكون قادراً على حمل المعنى."[34]

ومن المقطوع به عدم فصل علم الدلالة عن غيره من بقية فروع اللغة، فالعلاقة بينهما متبادلة؛ فلكي يحدد الشخص معنى الحدث الكلامي لابد أن يقوم بملاحظات تشمل الجوانب الآتية:

1- ملاحظة الجانب الصوتي الذي قد يؤثر على معنى الكلمة مثل وضع صوت مكان آخر ،ومثل النبر والتنغيم.

2- دراسة التركيب الصرفي للكلمة وبيان المعنى الذي تؤديه صيغتها.

3- مراعاة الجانب النحوي،أو الوظيفة النحوية لكل كلمة داخل الجملة.

4- بيان المعاني المفردة للكلمات،وهو ما يُعرف باسم المعنى المعجمي.
5- دراسة التغييرات التي لا يُكتشف معناها بمجرد تفسير كل كلمة من كلماتها ،والتي لا يمكن ترجمتها حرفياً من لغة إلى لغة."[35]

التغير الدلالي:

للتغير الدلالي ثلاثة قوانين،أشار إليها د. حلمي خليل [36] بقوله:" وهي قوانين استنبطها علماء اللغة من دراسة التطور الدلالي للكلمات خلال الاستعمال في فترات زمانية مختلفة، ويتمثل هذا التغير الدلالي في قوانين ثلاثة هي:

1- تخصيص الدلالة.
2- تعميم الدلالة.
3- نقل الدلالة.

أولاً: تخصيص الدلالة:

ويطلق عليه العام المخصوص ،وقد عرَّفه السيوطي (ت 911هـ)[37] :"هو ما وُضع في الأصل عامّاً ثم خُصَّ في الاستعمال ببعض أفراده."

ثانياً: تعميم الدلالة:

وهو أن تكون لدينا كلمة لها معنى معجمي، ثم تُستعمل للدلالة على عدة معانٍ، وفي ذلك يقول دكتور حلمي خليل:" أما تعميم الدلالة فهو الانتقال بدلالة كلمة من معناها المعجمي الضيق إلى دلالة أعم وأوسع ..مثال ذلك كلمة البأس التي كانت تطلق على الحرب خاصة، ثم أصبحت تطلق على كل شدة." [38]

ثالثاً: نقل الدلالة:

يختلف هذا القانون عن سابقيه؛لأن دلالة الألفاظ فيه:" تنتقل من مجال إلى آخر،وهي لا تنكمش فيتضاءل المحيط الذي تتحرك فيه بعد اتساع وعموم ،ولا يتحول مجالها كذلك من ضيق وخصوصية إلى تعميم وشمول."[39]

وعلل د. عبد الكريم محمد جبل انتقال الدلالة من مجال إلى آخر بقوله:" وذلك لوجود علاقة ملمح مشترك بينهما سوغا هذا الانتقال."[40]

كل نص قابل للفهم والتأويل من قِبل القارئ فهو نص متماسك دلالياً.وإذا كان النص هو وحدة دلالية متكاملة لا وجود للجزئيات فيه إلا بمقدار صلتها بالكل ، فإن التماسك الدلالي للنص يعني الترابط الدلالي لمفاهيمه ومضامينه وتصوراته التي يطرحها، ومدى ترابطها واطردها في صورة

محكمة.وعلى ذلك فإن:"الحبك في جوهره تنظيم مضمون النص تنظيماً دلالياً منطقياً."[41] "متسلسل المعاني والمفاهيم والقضايا على نحو منطقي مترابط ،والنص الذي يوصف بأنه لا معنى له،هو النص الذي لا يستطيع مستقبلوه أن يعثروا فيه على مثل هذا التسلسل." [42] فالحبك يعمل على فهم النص فهماً أعمق.

وينقسم التماسك الدلالي إلى قسمين،هما:

أولاً: التماسك الكلي. ثانياً: التماسك الجزئي.

أولاً: التماسك الكلي:

يُقصد به الارتباط المضموني في إطار مدونة نصية كبرى ، ويتحقق هذا الارتباط المضموني بتوفر العلاقات الدلالية بين نصين أو أكثر في إطار البنية النصية الكبرى ،التي تشمل بنية النصوص المكونة لنص أكبر ممتد.ويتحقق التماسك الدلالي الكلي بتحقق الارتباط المحكم للمفاهيم والأغراض الذي يصل النصوص بعضها ببعض في إطار نص أكبر واحد.

كما يشير فان ديك إلى أن الكتابات بالإضافة إلى كونها " تتوحد حول موضوع أو فكرة رئيسة، فإنه يجب أن يكون لها شكل كلي أو بنية عليا Super Structure تحقق تماسك النص."[43]

إن كلاً من:"موضوع الخطاب والبنية الكلية تمثيل دلالي لمجموعة من القضايا أو لخطاب بأكمله..والبنية الكلية مفهوم مجرد تتجلى به كلية الخطاب ووحدته."[44] موضوع الخطاب هو المحور الذي يدور حوله الخطاب بأكمله،أو هو الفكرة الرئيسة العامة التي يقدَّمها الخطاب، أو هو مدار الحدث الكلامي كله.

لذا كان لزاماً على محلل الخطاب أن يبحث عن:" بؤرة أو مركز موِّلد لخلايا النص، يفترض القارئ وجودها في النص،ويتابع تمددها إلى الأطراف، وعودتها بعد انتشارها وتوزعها بُعداً وقُرباً من المركز النصي."[45]

وتتجلى أروع صور ذلك التماسك في آي القرآن الكريم وسوره ، حيث تتماسك جميعها لتكون وحدة دلالية كلية ، بحيث لا يمكن حذف أو إضافة أية آيات من مكانها ، وهذا من صور إعجاز القرآن الكريم.

ثانياً: التماسك الجزئي:

يُقصد به الارتباط المضموني داخل أجزاء النص الواحد ويتحقق هذا الارتباط المضموني بتوفر العلاقات الدلالية بين أجزاء النص الواحد.وهو هنا في السورة القرآنية الواحدة.

والنص داخل المدونة الكبرى عبارة عن بنية دلالية مكتملة، لكن هذا الاكتمال لا يمنع أنه مهيأ للدخول في بنية دلالية أكبر تخصُّ النص، ومن ثمَّ تمثل السورة الواحدة علامة على اكتماله دلاليًا، أما مجموع السور والآيات فعلامة على تلك البنية الكبرى التي تنتظم فيها البنيات الدلالية للكتاب ككل،والبنية النصية الصغرى هي بنية النصوص المكونة لنص أكبر ممتد.

والدراسة في هذا المبحث سوف تقف على أهم عناصر الدلالة في ضوء علم اللغة الحديث، في تحليل أسلوب الشرط في العُشر الأخير من القرآن الكريم ،وفق ما يُعرف بقيود الحبك الدلالي،وهي:

المبحث الأول: قيود الحبك:وتتضمن:

- التطابق الإحالي.

لابد أن يتحقق التطابق الإحالي داخل النص؛ ليتحقق التماسك الدلالي بالنص، فقد يمتلئ النص بالروابط الظاهرة ولكن لا يُحكم عليه بالنصية؛ لخلوه من التطابق الإحالي،ومن ذلك ما أورده فان ديك من خلال سؤاله عن الشروط التي تحكم التماسك ،ومثَّل لذلك بقوله:"جون أعزب ، وإذن فبيتر غير متزوج" فهذا مثال غير مترابط ،ومن ثمَّ غير مقبول؛لعدم وجود شرط التطابق الإحالي داخل النص، فقال:" وهذا يقتضي إضافة شرط آخر وهو التطابق الإحالي ،أي: أن يكون نفس الشخص متحدثاً داخل النص."[46] ولا تكاد توجد آية في القرآن كاملاً إلا ويتوافر فيها التطابق الإحالي ومن ذلك قوله تعالى :" لَوْلا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ المَصِيرُ" (المجادلة8/58) حيث التطابق في الضمائر (يعذبنا- نقول- حسبهم – يصلونها)

وقوله تعالى:" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُم فَلا تَتَنَاجَوا بِالإِثْمِ وَالعُدْوَانِ وَمَعْصِيةِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيهِ تُحْشَرُونَ" (المجادلة/9)

تناجيتم (أنتم)- فلا تتناجوا (أنتم).

وقوله تعالى:" وَلَوْلا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الجَلاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ" (الحشر/3) التطابق في الضمائر واضح في قوله (عليهم – عذبهم)

- تعالق الوقائع.

قد نجد نصًا تحقق فيه التطابق الإحالي، ولكنه غير محبوك ، لعدم توافر قيود الحبك الأخرى ، كقيد تعالق الوقائع ، الذي يحقق التماسك بين أجزاء النص ، ويتحقق تعالق الوقائع داخل النص من خلال شروط عدة:-

شروط تعالق الوقائع:

1- الترتيب الزمني:

فإذا كنا نقبل نصاً مثل:" أمس كان الجو حاراً ، لذا ذهبنا إلى الشاطئ.فإن نصاّ مثل: أمس كان الجو حاراً جداً، فذهبنا إلى الشاطئ في الأسبوع الماضي.غير مقبول، ومن ثمَّ فهو غير متماسك؛لأنه لم يستجب لشرط الترتيب الزمني."[47] مما يشعر المتلقي بالخلل داخل النص. والجملة الشرطية في الغالب تسير في خط مستقيم للأمام ،وتترتب فيها الوقائع تريبا زمنيا ملائما،ومن ذلك قوله تعالى:" يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَن لا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلا يَسْرِقْنَ وَلا يَزْنِينَ وَلا يَقْتُلْنَ أَوْلاَدَهُنَّ وَلا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرجُلِهِنَّ وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ" (الممتحنة/12)

نلمح وجود ترتيب زمني داخل الآية الكريمة ،فالمؤمنات يأتين ليبايعن الرسول على عدة أشياء فالرسول يبايعهن ويستغفر الله لهن ما سلف.

2- تعالق الوقائع الممكنة.

لابد أن يتحقق التعالق بين الوقائع الممكنة ، فلا يمكن الربط بين الواقع ،والأحلام أو الخيال ،وقد مثَّل فان ديك لذلك بقوله:" حلمت أن الطقس حار جداً، فذهبت إلى الشاطئ."؛لأن واقع كون الطقس حاراً في عالم الحلم ليس سبباً عادياً للذهاب إلى الشاطئ في العالم الفعلي."[48]

3- السبب والنتيجة.

من شروط تعالق الوقائع أن تكون العلاقة الرابطة بين القضايا وبعضها داخل النص الواحد علاقة السبب والنتيجة ، مثل: جون أعزب ، فهو إذن غير متزوج."[49] فإن القضية الثانية نتيجة للقضية الأولى ، مما ساعد على تحقيق التماسك بينهما.

ومن ذلك قوله تعالى:"وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ المَصِيرُ" (المجادلة/8)

فالله سيعذبهم ، تلك هي النتيجة ،ولكن السبب ورد في الآية (بِمَا نَقُولُ) لا يكاد يكون الشرط إلا موقوفاً على سبب ونتيجة، والسبب والنتيجة من لوازم الشرط ،ولأن القرآن الكريم يحكي عن معاملة الله تعالى للناس وأنه ليس بظلام للعبيد ، فهو يؤكد أن كل ما يقوم به الإنسان يُجازى عليه ،ومعاملة الله للإنسان هي النتيجة وما قدَّمه من أعمال صالحة أو طالحة هي السبب في ذلك الجزاء،وهذا كثير جدا في القرآن الكريم.ومن ذلك قوله تعالى:" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ **فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ**" (الممتحنة/10) والسبب في عدم إرجاعهن للكفار أنهن صرن مؤمنات.

4- النشاط المتماثل.

قد لا يتحقق بين القضايا داخل النص علاقة السبب والنتيجة ،فكان لابد من وجود شروط أخرى تساعد على تعالق الوقائع ، فمثلاً:"ذهبنا إلى الشاطئ لكن بيتر ذهب إلى المسبح" ففي النص السابق لا يعتبر الناتج(ذهب بيتر إلى المسبح) عن قضية تشير إلى واقع بُعد بطريقة ما، نتيجة للواقع الذي يشير إليه السابق (ذهبنا إلى الشاطئ) ،فالذي عمل على حبك النص هو النشاط المتماثل ،فالنشاط الممارس خلال القضايا(الذهاب إلى المسبح) و(الذهاب إلى الشاطئ) هو السباحة ، عكس قولنا:" ذهبنا إلى الشاطئ وولد بيتر في مانشستر" فلا مجال للمقارنة بين (ذهابنا إلى الشاطئ) وبين كون (بيتر مولود في مانشستر)".[50] فالوقائع داخل النص متباعدة.

ومن الأمثلة على ذلك في أسلوب الشرط في العشر الأخير من القرآن قوله تعالى:" أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن أَهْلِ الكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُم وَلا نُطِيعُ فِيكُم أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُم لَنَنْصُرَنَّكُم وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * لَئِنْ أُخْرِجُوا لا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الأدْبَارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ "(الحشر/12)

ومنه قوله تعالى:" إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكَم أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ" (الممتحنة/2) فمودتهم كفرهم نشاط مصاحب للعداوة وبسط اليد واللسان بالسوء.

- الخلفية المعرفية.

الخلفية المعرفية هي المناخ العام للحكي،واللبنة الأولى من لبنات النص، وعناصر الخلفية المعرفية تتمثل في: الشخصيات،والزمان، والمكان ، وأسباب ظهور النص واعتبارات المخاطب ،وكل ما أثير في ذهن أطراف النص،وأدى إلى وجود النص."[51]

وللمتلقي دور واضح في حبك النص، فالنص لا يتصف بالحبك ولا يتماسك بمعزل عن المتلقي للنص،لذلك كان لابد من إبراز دور المتلقي في عملية التواصل وهو ما يساعد على تكوين نص متماسك. وقد أشار الدكتور صلاح فضل إلى دور المتلقي قائلاً:"إذا كانت البنية الكبرى ذات طبيعة دلالية،وكانت متعلقة ومشروطة بالتماسك الكلي للنص فالذي يحدد لإطارها نتيجة لذلك هو(المتلقي)؛لأن مفهوم التماسك ينتمي إلى مجال الفهم والتفسير الذي يضفيه القارئ(المتلقي) على النص،ونتيجة لأن تأمل النص من جانب القارئ لا يعتمد فحسب على استرجاع البيانات الدلالية التي يتضمنها هذا النص، بل يقتضي أيضاً إدخال عناصر القراءة التي يمتلكها المتلقي، داخل ما يسمى بكفاءة النص أو إنجازه ، فالعقائد والأعراف والأبنية العاطفية يطلق عليها الشفرات المساعدة تسهم كلها في تماسك النص والخطاب النصي."[52]

أصبح المتلقي ركناً أساسياً من أركان التحليل النصي، فهو القراءة الثانية للنص، ولهذا لم يغفل علماء اللغة هذا الدور للمتلقي، فالنص يُعدُّ حواراً قائماً بين قائل النص والنص والمتلقي ، والمتلقي للنص ليس على إطلاقه ، بل يجب أن تتوفر فيه الكفاءة التي تمكنه من استيعاب النص وتفكيكه،وتتمثل تلك الكفاءة في معرفة لغة النص ، وأسلوبه وسياقه، والمتلقي الذي هذه خصائصه هو الذي يحكم على تماسك النص من عدمه."[53]

الخلفية المعرفية العامة:

تتعدى الخلفية المعرفية العامة فتتجاوز التحديد الزماني والمكاني، لتشمل المناخ الذي يسبق تكوين النص ،ويُعدُّ بمثابة تهيئة لموضوع الكتاب، والعنصر الذي يعتمد عليه المجمل.

القرآن الكريم كتاب الله أنزله من السماء على قلب الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ليُخرج الناس من الظلمات إلى النور ويهديهم إلى الطريق

المستقيم، وقد كثرت حوله التفاسير والمصنفات وهو العماد الأساس للدين الإسلامي ، والمرجع الأول فيه ،ومن نافلة القول الحديث عن فضائله وعجائبه وآياته وتشريعاته ، والذي يهم الباحث في هذا السياق هو الحديث عن أسلوب الشرط في العُشر الأخير من القرآن الكريم، وهو قد نزل على قلب الرسول في مرحلتين: الأولى : المرحلة المكية قبل الهجرة ، والثانية : بعد الهجرة إلى المدينة المنورة ،ولكلٍ خصائصه التركيبية والدلالية والتشريعية،والمتفق عليه أن القرآن المكي اهتم بتخصيص العبودية لله تعالى ، ونبذ الشرك وعبادة الأوثان وكُثُرت فيه القصص، ليثبِّت قلب الرسول. أما القرآن المدني فقد احتوى الكثير من التشريعات.

- المكي :" ما نزل قبل الهجرة يسمى مكياً وما نزل بعد الهجرة يسمى مدنياً وإن نزل في مكة، فالتقييم زماني،وليس بمكاني، ليست العبرة بمكان النزول وإنما العبرة فيه بزمانه"(54)

- وقد فصّل العلماء الفروق الجوهرية بين المكي والمدني في: اللغة والعبارات وأسلوب الخطاب من يأيها الناس في الغالب إلى يأيها الذين آمنوا ، إلى الموضوعات ، إلى التحريم والحضّ على القتال وأشياء كثيرة تُراجع في كتب التفسير وعلوم القرآن.

والمكي والمدني من أهم العلوم القرآنية، فالمكي يخاطب به وثنيي قريش وحدهم – في الغالب- أما المدني فالخطاب موجه لأهل الكتاب والوثنيين وبقية الناس.

يقول الإمام الطاهر بن عاشور:" فطرائق المفسرين للقرآن ثلاث:**إما** الاقتصار على الظاهر من المعنى الأصلي للتركيب مع بيانه وإيضاحه وهذا هو الأصل ، **وإما** استنباط معانٍ من وراء الظاهر تقتضيها دلالة اللفظ أو المقام ولا يجافيها الاستعمال ولا مقصد القرآن.

وإما أن يجلب المسائل ويبسطها لمناسبة بينها وبين المعنى،أو لأن زيادة فهم المعنى متوقفة عليها ."(55)

- الذي أجمع عليه علماء الأمة الإسلامية أن ترتيب الآيات داخل السور من وضع الرسول الكريم و" قد كان نزول القرآن على غير الترتيب الذي نقرؤه الآن في السور الكريمة ،بل كان ذلك الترتيب من بعد النزول بعمل النبي بوحي من الله تعالى ،فكان النبي يقول ضعوا آية كذا في موضع كذا من سورة كذا، فتكون بجوارها متسقة متلاحقة المعنى مترابطة، متناسقة اللفظ. "(56)

هذا عن ترتيب الآيات أما ترتيب السور فأمره جد مختلف ومتباين كثيرا عن ذلك، فقد أورد القرطبي أن ترتيب السور داخل المصحف اختلف من صحابي إلى آخر، وقال:" قد اختلف السلف في ترتيب سور القرآن ،فمنهم منْ كتب في مصحفه السور على تاريخ نزولها، وقدَّم المكي على المدني، ومنهم منْ جعل في أول مصحفه الحمد، ومنهم من جعل في أوله " اقرأ باسم ربك" ، وهذا أول مصحف عليَّ، وأما مصحف ابن مسعود فإن أوله" ملك يوم الدين" ثم البقرة ثم النساء ، على ترتيب مختلف، ومصحف أُبي أوله :الحمد لله ثم النساء ثم آل عمران ثم الأنعام ثم الأعراف ثم المائدة، ثم.. كذلك على اختلاف شديد. قال القاضي أبو بكر بن الطيب:فالجواب أنه يحتمل أن يكون ترتيب السور على ما هي عليه اليوم في المصحف كان على وجه الاجتهاد من الصحابة...

.... وذكر ابن وهب في جامعه قال: سمعت سليمان بن بلال يقول: سمعت ربيعة يُسأل: لِمَ قُدِّمت البقرة وآل عمران ،وقد نزل قبلهما بضع وثمانون سورة وإنما نزلتا بالمدينة؟ فقال ربيعة: قد قُدمتا وأُلف القرآن على علم ممنْ ألفه ،وقد اجتمعوا على العلم بذلك ،فهذا مما ننتهي إليه ،ولا نسأل عنه (57)".

الخلفية المعرفية الخاصة:

ويُقصد بها خلفيات القصص الداخلية التي تحملها النصوص، وقد رأينا السياق العام يحمل مضامين متنوعة، إلا أن هناك تنوعاً في السور القرآنية ، بما يحمل من مضامين ، كعنصر من عناصر الخلفية المعرفية.

السور والآيات :

العُشر الأخير يتكون من ثلاثة أجزاء ، 6 أحزاب،24 ربعاً ، وعدد السور فيه هو 47 سورة.13 سورة مدنية و34 سورة مكية.

السور المدنية: المجادلة – الحشر – الممتحنة- الصف- الجمعة – المنافقون- التغابن – الطلاق- التحريم – الإنسان- البيِّنة – الزلزلة- النصر. وموضوعاتها كثيرة ومتنوعة.

والسور المكية: الملك – القلم – الحاقة – المعارج – نوح – الجن – المزمل- المدثر – القيامة – الإنسان – المرسلات – النبأ – النازعات- عبس- التكوير – الانفطار- المطففين- الانشقاق- البروج – الطارق – الأعلى- الغاشية – الفجر – البلد - الشمس- الليل - الضحى – الشرح – التين – العلق - القدر- العاديات- القارعة – التكاثر- العصر- الهُمزة -

الفيل- قريش- الماعون- الكوثر - الكافرون- المسد – الإخلاص – الفلق - الناس.[58]
وعدد السور التي احتوت أسلوب للشرط تبلغ 30 سورة وهي: المجادلة – الحشر – الممتحنة - الجمعة – الصف – المنافقون- التغابن – الطلاق- التحريم – الإنسان– الزلزلة - الملك – القلم – الحاقة – نوح – الجن – القيامة – المرسلات – النبأ - التكوير – الانفطار- المطففين- الانشقاق– الفجر – الضحى – الشرح – العلق- القارعة – التكاثر- النصر.
عدد آيات الجزء الثامن والعشرون: 137 آية ، وعدد آيات الجزء التاسع والعشرون : 431 آية، وعدد آيات الجزء الثلاثون والأخير : 264 آية.
ومجموع الآيات:832 آية ، ومجموع آيات القرآن الكريم:6236 آية ، فهذا يدل على أن العشرً الأخير أكثر الأجزاء عددا لآيات القرآنية،وأطول سورة هي سورة:المدثر: 56 آية ،وأقصر سورة هي سورة: الكوثر – العصر - الإخلاص:كل سورة ثلاث آيات فحسب.وأقصرهن على الإطلاق سورة الكوثر.
والسورة الواحدة قد تتحدث عن موضوعات عدة ،ولا تقتصر على موضوع واحد، وهذا هو الكثير الغالب،والخطاب في تلك السور مقسم بين: الرسول وجماعة المؤمنين،والكفار الذين لا يؤمنون بدين الحق،والمنافقين الذين يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر.
وبعض الآيات موجهة لجماعة محددة ،والبعض الآخر موجه للناس جميعاً.
والأماكن معلومة من السياق إما مكة أو المدينة،وبعض الأماكن الأخرى التي تجري فيها الأحداث، وخاصة الغزوات.
والزمان ممتد في الماضي حيث يقصُّ قصص السابقين والغابرين في أماكن متنوعة ،وحاضر في الزمن الحاضر الذي تدور فيه الأحداث،وممتد إلى يوم القيامة حيث تجتمع كل الخلائق للحساب.

العلاقات الدلالية لأسلوب الشرط في العُشر الأخير من القرآن الكريم:

1- السببية(التعليل)

في هذه العلاقة تُذكر قضية داخل النص،ثم يُذكر بعدها الشيء المتسبب فيها، وهي من العلاقات الشائعة داخل النصوص، وتعبر عن علة تمام أو عدم تمام القضية الأولى،وهذه العلاقة من أكثر العلاقات انتشارا في النصوص.

علاقة السببية أو التعليل من العلاقات التي تؤدي إلى معقولية الكلام ، وكيفية تتابع القضايا في النصوص، فهي تُعطي للكلام سمة المنطقية خاصة وأن لها حضورا مكثفا داخل أجزاء النص القرآني.كما أنها تعطي للكلام قوة في البناء المنطقي.

ومن ذلك قوله تعالى:" فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ *وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ *فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَه* نَارٌ حَامِيَةٌ" (القارعة6-11)

فالشرط هنا مسبب ، "فثقل الموازين كناية عن كونه بمحل الرضا من الله تعالى لكثرة حسناته،لأن ثقل الميزان يستلزم ثقل الموزون وإنما توزن الأشياء المرغوب في اقتناءها ،وقد شاع عند العرب الكناية عن الفضل والشرف وأصالة الرأي بالوزن ونحوه ،وبضد ذلك يقولون:فلان لا يقام له وزن ،قال تعالى:" فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ وَزْنًا "(الكهف/105)"[59]

2- التفسير.

وهي علاقة تظهر بأن تذكر جملة تكشف عن المقصود من جملة أو لفظة سابقة لها، ،وعلامة العلاقة التفسيرية أن يصح تأويلها بعبارة(أي أن المقصود كذا) فإذا صح هذا التقدير كان ذلك دليلاً على أن الجملة الثانية تفسير لمضمون الأولى.

وهذه كثيرة في الآيات ومنها قوله تعالى:" إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا* وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا * وَقَالَ الإِنْسَانُ مَا لَهَا * يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا *بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا" (الزلزلة/5) فجواب الشرط قوله تعالى:" يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا" هو التفسير لكل ما سبق من تعدد فعل الشرط.

3- التفصيل بعد الإجمال.

من تلك العلاقات الهامة داخل النص؛فالتفصيل يأتي توكيداُ وتوضيحاً للإجمال،وهذه العلاقة لا تسير بنمط واحد،وإنما قد تسير من المجمل إلى المفصل ، أو طريق مخالف من المفصل إلى المجمل.ومن ذلك قوله تعالى:" كَلاَّ إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا *وَجَاءَ رَبُّكَ والمَلَكُ صَفًّا صَفًّا *وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى" (الفجر/23)

4- الحوار.

"والمقصود بالحوار في العمل الأدبي هو :"حديث يدور بين اثنين على الأقل, ويتناول الموضوعات, أو هو الكلام يقع بين الأديب ونفسه أو منْ ينزله مقام نفسه, يفترض منه الإبانة عن الموقف,والكشف عن خبايا النفس أو هو كلام الشخصيات ومحادثاتهم في أي نوع من الأعمال الأدبية".[60]

"ويعتبر الحوار صورة من صور الأسلوب القصصي, بل إنه أحيانًا يكون أكثر حيوية من الأسلوب السردي أو الوصفي, ولذلك كان من أهم الوسائل التي يعتمد عليها الكاتب في رسم الشخصيات, فضلاً على أنه كثيرًا ما يكون الحوار السلس المتقن مصدرًا من أهم مصادر المتعة في القصة؛ إذ بواسطته تتصل شخصيات القصة ببعض اتصالاً صريحًا مباشرًا. "[61]

ويأتي هذا كثيرا في القرآن الكريم وفي أسلوب الشرط يكون قليلاً،ومنه قوله تعالى:" - وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِي العَلِيمُ الخَبِيرُ (التحريم/3)

وقوله تعالى:" أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَونَ بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ المَصِيرُ" (المجادلة/8)

ومنه قوله تعالى:" أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن أَهْلِ الكِتَابِ **لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ** لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُم وَلا نُطِيعُ فِيكُم أَحَدًا أَبَدًا **وَإِنْ قُوتِلْتُم** لَنَنْصُرَنَّكُم وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * لَئِنْ أُخْرِجُوا لا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ "(الحشر/12)

وهذا حوار محكي جاء به القرآن بتلك الصورة المخصوصة.

5- التطابق بين السؤال والجواب.

علاقة قريبة من علاقة الحوار،و" لكن علاقة الحوار تُعدُّ أعم فهي قد تحتوي على السؤال والجواب، أمَّا هذه العلاقة فتختص بالجواب والسؤال"[62] وأن يكون الجواب موافقاً مطابقًا للسؤال لا اختلاف بينهما.

- قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلا تُسَبِّحُونَ" (القلم/28)

ومنه قوله تعالى:" أَأَشْفَقْتُم أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُم فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ" (المجادلة/13)

6- المقابلة.(التباين)

هذه العلاقة تتحقق بمجئ القضايا وما يقابلها،فهي تعمل على ربطهما بعضهما ببعض، وهي مقابلة في المعنى وليست الملفوظة بين المباني،فهي مقابلة في المعنى دون اللفظ.

ومنه قوله تعالى:" فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ *وَإِلى رَبِّكَ فَارْغَبْ" (الشرح/8)

- فَأَمَّا الإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ ربُّهُ فأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ * وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ ربِّي أهَانَنِ" (الفجر/16)

- نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلاً (الإنسان/28)

7- التخصيص.

"وهي من العلاقات الملحوظة بأن يُذكر في السياق شيء عام ثم يُخصص جزء منه ، وهو المقصود ،وعندئذ تكون العلاقة بين المعنيين في عموم وخصوص."[63]

- فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ * وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ (*)وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ (*) وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ *لأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ (*) لِيَوْمِ الْفَصْلِ" (المرسلات/13)

- فإِذَا بَرِقَ البَصَرُ *وَخَسَفَ الْقَمَرُ *وَجُمِعَ الْشَّمْسُ وَالْقَمَرُ * يَقُولُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُ (القيامة/10)

- وَأَنَّا مِنَّا المُسْلِمُونَ وَمِنَّا القَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا" (الجن/14)

8- النظير.

يرى الزركشي أن إلحاق النظير بالنظير علاقة منطقية، فمن دأب العقلاء إلحاق النظير بالنظير.. يدرج الزركشي ضمن هذه العلاقة التماسك الموجود في قوله تعالى:" أُولَئِكَ هُمُ المُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ * كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ المُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ"(الأنفال:5-6) إن الإشكال الذي تطرحه الآيتان ،هو ما وجه التماسك بين "أولئك هم المؤمنون حقا" وبين" كما أخرجك ربك من بيتك بالحق" ؟ ويعلل الزركشي التماسك في الآيتين بعلاقة النظير."[64]

ومنه في أسلوب الشرط قوله تعالى :" فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَو فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُم وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُم يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَّهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِن حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا "(الطلاق/3)

9- الإضراب.

"الإضراب إبطال كلام سابق يغلب أن يكون بالجمل الخبرية ، وقد يكون بغيرها."[65] ويكون الإضراب علاقة لفظية حينما يُعبر عنه بأداتي الإضراب(بل- ما)
ومنه قوله تعالى:" إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ * كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ "(المطففين:13-14)

10- الإنكار.

يُقصد بعلاقة الإنكار ،أنه قد يرد قول أو حدث أو عمل مرفوض،ويُلمِح هذا الرفض من خلال السياق.

ومنه قوله تعالى في سورة المجادلة:" أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَونَ بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ المَصِيرُ" (المجادلة/8) فالآية تؤكد رفض النجوى بالإثم والعدوان ومعصية الرسول.

11- الاحتراس.

والمقصود بعلاقة الاحتراس أن يكون السياق محتملاً لشيء غير مقصود ، فيؤتى بزيادة تدفع الاحتمال ؛ليكون النص محبوكاً، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى:" اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء"[66] فيبدو من السياق أن اليد ستخرج بيضاء ،ومن الخلفية المعرفية أن البياض قد يعني المرض كالبهق والبرص مثلاً،وليس هذا المقصود من الآية ، لذلك احترس – سبحانه وتعالى- بقوله:" من غير سوء" والتي تدفع الاحتمال غير المقصود."[67]
ومن ذلك قوله تعالى:" وَلَوْلا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الجَلاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ" (الحشر/3)
وقوله تعالى:" لَئِنْ أُخْرِجُوا لا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ "(الحشر/12)
وقوله تعالى:" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ المُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الكُفَّارِ لا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ"(الممتحنة/10)
وكذا قوله تعالى:" يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ المُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ (المنافقون/8)

12- التذييل.

المقصود بالتذييل أنه بعد أن يتم الكلام يؤتَى بكلام مستقل عنه في معنى الأول؛ ليكون كالدليل عليه ،وبذلك يعمل على إيضاح المعنى لمنْ لم يفهمه وتوكيده لمنْ فهمه،وهذه العلاقة تربط معنوياً بين أجزاء النص.

ومنه قوله تعالى:"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ **إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ**".

شرط ذيل به النهي من قوله:" لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء" .وهذا مقام يستعمل في مثله الشرط بمنزلة التتميم لما قبله دون قصد تعليق ما قبله بمضمون فعل الشر ،أي لا يقصد أنه إذا انتفى فعل الشرط انتفى ما علق عليه كما هو الشأن في الشروط بل يقصد تأكيد الكلام الذي قبله بمضمون فعل الشرط ، فيكون كالتعليل لما قبله ، وإنما يؤتى به في صورة الشرط عن ثقة المتكلم بحصول مضمون فعل الشرط بحيث لا يتوقع من السامع أن يحصل منه غير مضمون فعل الشرط فتكون صيغة الشرط مرادا بها التحذير من السامع أن يحصل منه غير مضمون الشرط فتكون صيغة الشرط مراد بها التحذير بطريق المجاز المرسل في المركب لأن معنى الشرط يلزمه التردد غالبا. ولهذا يؤتى بمثل هذا الشرط إذا كان المتكلم واثقا بحصول مضمونه متحققا صحة ما يقوله قبل الشرط.

وقد يأتي بمثل هذا الشرط من يظهر وجوب العمل على مقتضى ما حصل من فعل الشرط وأن لا يخالف مقتضاه كقوله تعالى :" واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه" إلى قوله:" إن كنتم آمنت بالله وما أنزلنا على عبدنا" أي فإيمانكم ويقينكم مما أنزلنا يوجبان أن ترضوا بصرف الغنيمة للأصناف المعينة من عند الله.

ومنه كثير في القرآن إن تتبعت مواقعه.

ويغلب أن يكون فعل الشرط في مثله فعل كون إيذانا بأن الشرط محقق الحصول.

وما وقع في هذه السورة من هذا القبيل فالمقصود استقرار النهي عن اتخاذ عدو الله أولياء وعقب بفرض شرطه موثوق بأن الذين نهوا متلبسون بمضمون فعل الشرط بلا ريب، فكان ذكر الشرط مما يزيد تأكيد الانكفاف.

ولذا يُجاء بمثل هذا الشرط في آخر الكلام إذ هو يشبه التتميم والتذييل ،وهذا من دقائق الاستعمال في الكلام البليغ."[68]

المبحث الثالث: البنى النصية.

إن النص مكون من مجموعة من القضايا المتتابعة ،" تكوّن فيما بينها مجموعة علاقات وقضايا متداخلة."[69] وأي تتابع من القضايا المترابطة له بنية كلية، يصل إليها القارئ من خلال تماسك النص، وهي:" تصوّر الترابط الكلي ،ومعنى النص الذي يستقر على مستوى أعلى من مستوى القضايا الفردية ،وبذلك يمكن أن يُشكِّل تتابع كلي أو جزئي لعدد من القضايا وحدة دلالية على مستوى أكثر عمومية ."[70]

فالبنية الكلية يتمُّ التوصل إليها من خلال الحبك بين القضايا الجزئية التي يتكون منها النص، وتساعد على فهم المعنى المراد من النص، فالطبيعة الدلالية جزء لا ينفصل عن البنية الكلية.

وقد أشار فان ديك إلى أن البنية الكلية تهتم بأوجه الترابط الدلالية التي يركز عليها النص؛ ليكون النص محبوكاً حبكاً شديداً،فهي تتصل بأوجه الارتباط بين الوحدات الكبرى للنص."[71]

إن مفهوم البنية الكلية يُعدُّ بنية مجردة ،وقد أشار فان ديك إلى أهمية الوصول للبنية الكلية للنص من خلال قيام القارئ بعدة عمليات ،" وهذه العمليات ذات طبيعة حذفية ، أي: تعتمد على حذف مجموعة من المعلومات الدلالية بحيث يمكن اختزال القضايا ،والمتواليات إلى مجموعة من البنيات الجزئية يُستخلص منها البنية الكلية التي يتولد منها النص."[72]

فلكل نص بنية كبرى مع اختلاف الوصول إليها من نص إلى آخر، "ووجود البنية الكلية يمكن أن يُبرهَن عليها من إمكانية تلخيص النص."[73] ،فإن قدرة القارئ أو المتلقي على تلخيص المعنى الدلالي الذي يشير إليه النص دون نقص في المعنى ،يعني قدرته على الوصول للبنية الكلية والبنى النصية التي يتكون منها النص مع الأخذ في الاعتبار أن البنية الكلية للنص " لا تقتصر على العلاقة بين القضايا المتجاورة ،إنما هي بنية شمولية تلتقط عناصرها من مجموع قضايا النص المتآلفة."[74]

البنية النصية التي يصل المتلقي إليها من النص كله ، ولا يُنظر إليه على أنه مجموعة قضايا ، فلابد أن تتآلف هذه القضايا ،وتتماسك فيما بينها ؛ليتكون منها نص مترابط ، ونصل بذلك للقضية الكبرى التي يتضمنها النص كله ، وإن كانت البنية الكبرى للنص مكونة من قضايا وبُنى صغرى ،فقد تكون البنية الصغرى مساوية للبنية الكبرى إن كان النص مكوناً من قضايا قليلة فقط، أو قضية واحدة."[75]

فالبنية الكبرى أو القضية الكبرى داخل النص "متدرجة المستويات،وآخر مراحلها يتم استنباط قضية كبرى من مجموعة قضايا كبرى أخص في

مستويات أدنى."[76] داخل النص كله ، فالنص" كمية منتظمة من القضايا ترتبط بخلفية قاعدة النص الموضوعية بواسطة علاقات دلالية منطقية."[77]

ويتم من خلال البُنى النصية داخل النص تكوين القضية الشمولية التي يتضمنها النص، فالوظيفة الدلالية للبنى النصية هي تنظيم المعلومة المعقدة للغاية داخل النص من خلال عمليات الاختصارات المعلومة الدلالية ،فهي عملية إعادة بناء شكلي للنص، فالبنية الكبرى للنص تعين مستعمل اللغة على معرفة موضوع الحديث القائم أمامه بحيث يستنبط الموضوع من خلال النص المحبوك،" فموضوع النص هو ما نطلق عليه البنية الكبرى للنص."[78]

القاعدة الأولى: الحذف.

يتم من خلالها حذف كل معلومة غير جوهرية ،وليس لها أهمية داخل النص، أي يمكن حذف القضايا إذا لم يكن لها وظيفة دلالية داخل النص بحيث لا يتأثر المعنى أو يتغير ، والمعلومة المحذوفة تكون غير قابلة للاسترجاع. ويشير دي بوجراند إلى أن حذف الفاعلين والأفعال هما أكثر انتشاراً من غيرهما من أنواع الحذف،وأن الحذف كالإحالة نافع عند رفض محتوى قد يتوقعه السامع وأن وجود الحذف بدرجات مختلفة يتلاءم مع النص والموقف."[79]

وإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَولِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِم هُمُ العَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ" (المنافقون4/3)

حذف مفعول يقولوا.

"وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِي العَلِيمُ الخَبِيرُ (التحريم/3)

- إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ (الملك/7)
- فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ *وَحُمِلَتْ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً * فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الوَاقِعَةُ (الحاقة15/69)

القاعدة الثانية: الاختيار.

وفيها نحذف كماً محدوداً من المعلومات، غير أنه توجد علاقة بين القضايا أي: أن هذه المعلومة قابلة للاسترجاع.

القاعدة الثالثة: التعميم.

تُحذف معلومات أساسية إلى حد أنها تضيع ، وتحل قضية جديدة محل القضية القديمة .

القاعدة الرابعة: قاعدة الإدماج أو التركيب.

وهي تشبه القاعدة الثانية في الوظيفة،ولكنها تتم بحيث تحل معلومة جديدة محل معلومة قديمة ،ولا تحذف ،ولا تختار.وذلك كقوله تعالى:" أَأَشْفَقْتُم أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُم فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ" (13/58)

والملاحظ حول الآيات التي احتوت أساليب الشرط في العُشر الأخير من القرآن الكريم ، أنها تدور حول العلاقات الإيمانية ،والظروف والملابسات بين المؤمنين بعضهم البعض وبين المؤمنين والمنافقين وبين المؤمنين والكافرين ، واستعمال أسلوب الشرط جاء كثيراً ومطرداً داخل الأجزاء الثلاثة الأخيرة من القرآن الكريم، من خلال ما سبق – يتضح لنا بجلاء أن النص القرآني بجمالياته المتنوعة يتكون من مجموعة من المتتاليات النصية ، وأنها كلها تتعاضد من أجل الوصول إلى البنية الكلية والكبرى والشاملة للنص.وأن التماسك النصي ذو طبيعة دلالية ،ويتميز بخاصية خطية أي أنه يتصل بالعلاقات بين الوحدات التعبيرية المتجاورة داخل المتتالية النصية.فالتماسك يتحدد على مستوى الدلالات عندما تكون العلاقات قائمة بين المفاهيم والذوات ، والمشابهات والمفارقات في المجال التصوري، كما يتحدد أيضا على مستوى المدلولات أو ما تشير إليه الآيات من وقائع وحالات.

ويتضح كذلك أن البنية الكبرى للنص ترتبط بموضوعه الكلي ؛إذ تتجلى في ضوئها تلك الكفاءة الجوهرية لمتكلم ما ، والذي يحدد إطار البنية الكلية هو المتلقي؛لأن مفهوم التماسك ينتمي إلى مجال الفهم والتفسير الذي يضفيه القارئ على النص.

الخاتمة:

من خلال البحث عن التحولات الدلالية لأسلوب الشرط في العُشر الأخير من القرآن الكريم ، يمكن تلخيص أهم ما توصل إليه البحث فيما يأتي:

1- تناول البحث أسلوب الشرط ، من حيث المفهوم ومكونات جملة الشرط :أداة الشرط ،وجملة الشرط،وجملة جواب الشرط. والعلاقة بين الشرط والجزاء.

2- كما تناول البحث الروابط اللفظية بين جملتي الشرط والجواب:-

أولاً: الربط بأدوات الشرط:-

ثانياً: الربط باتفاق جملة الفعل بين الشرط والجواب (مضارع + مضارع) ،(ماضٍ+ ماض)

ثالثاً: الربط بالجزم.رابعاً: الربط بالفاء.خامساً: الربط بـ(إذا).

كما تناول البحث أنواع أدوات الشرط،وهي:-

أولاً: أدوات الشرط الجازمة. ثانياً: أدوات الشرط غير الجازمة.

وتطرق البحث للحدث عن الدلالة لغة واصطلاحاً، وأفرد للحديث عن التماسك الدلالي ،الذي ينقسم إلى :

أولاً: التماسك الكلي. ثانياً: التماسك الجزئي.

كما تناول البحث الحديث عن قيود الحبك والتطابق الإحالي وتعالق الوقائع ،والخلفية المعرفية العامة والخلفية المعرفية الخاصة ،

وتناول البحث علاقات الحبك الجزئي وهي: السببية(التعليل) - التفسير - التفصيل بعد الإجمال – الحوار - التطابق بين السؤال والجواب - المقابلة.(التباين) - التخصيص- النظير - الإضراب - الإنكار - الاحتراس- التذييل.وقد توافرت جميعها في آيات الشرط في العُشر الأخير من القرآن الكريم.

ولا ريب أن القرآن الكريم هو أبلغ وأفصح كتاب ، متواتر الثبوت ، محفوظ بأمر الله تعالى ، ويزداد الباحث فيه تشريفاً بمقاربة دلالاته النحوية والتغيرات الدلالية للآيات والسور الكريمة .

الهوامش والإحالات:

[1]) عبد العزيز علي صالح: الشرط في القرآن الكريم ، مخطوطة(ماجستير) بكلية دار العلوم، جامعة القاهرة ، 1976م، صـ 31.

[2]) شرح المفصل (155/8) ،المقتضب(46/2)

[3]) الزركشي:البرهان في علوم القرآن (356/2-355) ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، بيروت ، دار المعرفة ، طـ2، د.ت.

[4]) الصبان ، حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك(33/4) تحقيق إبراهيم شمس الدين ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، طـ1، 1417هـ، 1997م.

[5]) د.عبد الرحمن ربيع سيد : ظاهرة الترتب في اللغة العربية (دراسة في التركيب والدلالة) رسالة ماجستير ، محفوظة، 2013م، كلية دار العلوم جامعة القاهرة.، صـ 304.

[6])(أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر) سيبويه: الكتاب، تحقيق وشرح :عبد السلام هارون ، مكتبة الخانكي بالقاهرة طـ3، 1988م,(435/1)

[7]) أبو العباس محمد بن يزيد (المبرد): المقتضب ، تحقيق : محمد عبد الخالق عضيمة ، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ، 1994م.(59/2)

[8]) الأصول في النحو(44/1)

[9]) أنظر : دكتور: إبراهيم الشمسان: الجملة الشرطية عند النحاة العرب ، رسالة دكتوراه ، صـ76 وما بعدها.

[10]) شرح المفصل (108/5)

[11]) شرح المفصل لابن يعيش(111/5)

[12]) علل النحو439.
[13]) سيبويه: الكتاب، (448/1)
[14]) علل النحو439-440.
[15]) محي الدين الدرويش:إعراب بالقرآن الكريم ، دار اليمامة،دمشق ، ط2005،9، جـ7، صـ 558
16) الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير ، مكتبة سحنون بتونس، ومكتبة مصر ، القاهرة ، :" مجـ11، جـ28، صـ 356
[17]) د.عبد الرحمن ربيع سيد : ظاهرة الترتب في اللغة العربية (دراسة في التركيب والدلالة) رسالة ماجستير ، محفوظة، 2013م، كلية دار العلوم جامعة القاهرة.، صـ 312.
[18]) الكتاب(432/1-431)
[19]) علل النحو، صـ 198.
[20]) شرح الفصل (4/ 263)
[21]) الكتاب(435/1)
[22]) انظر: الكتاب(435/1) ،ومعاني القرآن للفراء(476/1-475) والمقتضب(49/2) ،والأصول في النحو لابن السراج(160/2)،والمفصل للزمخشري، صـ 440 وغيرهم.
[23]) الكتاب(435/1)
[24]) علل النحو ، صـ 440.
[25]) علل النحو ، صـ 440.
[26]) ينظر ابن قيم الجوزية ، بدائع الفوائد (43/1) القاهرة ، المكتبة التوفيقية ، د,ت.
[27]) الصبان ، حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك (12/4)
[28]) السابق ، (12/4)
[29]) قطر الندى لابن هشام ص 85 . **وكذا:** شذور الذهب لابن هشام ص 334 . ،وكذا: أوضح المسالك على شرح الألفية ج3 ، ص 189 .وكذا: المفصل للخليل بن أحمد الفراهيدي ص 252 .
[30]) انظر الكتاب لسيبويه ج3 ص 60 الطبعة الثالثة 1983 تحيق وشرح عبد السلام هارون.وكذا: همع الهوامع للسيوطي ج2 ص453 .**وكذا:**شرح المفصل لابن يعش ج7 ، ص 40 .
[31]) ابن منظور : لسان العرب، دار المعارف ، صـ 1414.
[32]) المعجم الوسيط: مكتبة الشروق الدولية ، طـ4، 2004م، صـ 294.
[33]) محمد الشريف الرضي: كتاب التعريفات، مكتبة لبنان ، 1985م ، صـ 109.
[34]) د.أحمد مختار عمر: علم الدلالة ، عالم الكتب، طـ5، 1998م ، صـ 11.
[35]) المرجع السابق، صـ 13-14.
[36]). حلمي خليل : مقدمة لدراسة علم اللغة ، الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، 1999م، صـ158.
[37]) السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها (427/1)
[38]) د. حلمي خليل : مقدمة لدراسة علم اللغة ، صـ159.
[39]) د.فايز الداية : علم الدلالة العربي، دار الفكر، دمشق ، 1985م، صـ314.
[40]) د. عبد الكريم محمد جبل: في علم الدلالة – دراسة تطبيقية في شرح الأنبا ري للمفضليات-، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1997م، صـ242.
[41]) د. محمد العبد: النص والخطاب والاتصال،الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة ، طـ1، 2005م، صـ92.
[42]) المرجع السابق، صـ93.
[43]) Betty Bamberg: What Makes a text Coherent ? p421
[44]) د. محمد خطابي: لسانيات النص ، صـ44-46.
[45]) حاتم الصكر: ترويض النص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998م، صـ 8.
[46]) د.محمد خطابي : لسانيات النص ، مدخل إلى انسجام الخطاب، صـ 32.
[47]) د.محمد خطابي : لسانيات النص ، مدخل إلى انسجام الخطاب ،صـ 32.
[48]) المرجع السابق، صـ32.
[49]) المرجع السابق، صـ 33.
[50]) المرجع السابق، صـ 33.

[51]) براون ويول: تحليل الخطاب، ترجمة: محمد لطفي الزليطي ونير التريكي- الرياض،1997م، صـ 93.
[52]) د. صلاح فضل ، بلاغة الخطاب وعلم النص ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، لونجمان ، طـ1، 1996م،صـ336-337.
[53]) د. صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق،دار قباء ،القاهرة ، 200م.(110/1)
[54]) محمد أبو زهرة : المعجزة الكبرى، دار الفكر العربي،جـ1، صـ19.
[55]) الإمام : محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، دار سحنون ، مجـ 1 ، جـ1، صـ 42.

المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر:

القرآن الكريم.

ثانياً: المراجع:

- د: إبراهيم الشمسان: الجملة الشرطية عند النحاة العرب ، رسالة دكتوراه، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، 1979م.
- د.أحمد مختار عمر: علم الدلالة ، عالم الكتب، طـ5، 1998م .
- جلال الدين السيوطي (ت 911هـ) :همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق: أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1، 1998م.
- : المزهر في علوم اللغة وأنواعها ،تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرون ، المكتبة العصرية .
- حاتم الصكر: ترويض النص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998م.

- د. حسام أحمد فراج: نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري، مكتبة الآداب، القاهرة ، ط1، 2007م.
- حلمي خليل : مقدمة لدراسة علم اللغة ، الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، 1999م.
- - د. صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق،دار قباء ،دار قباء ،القاهرة ، 2000م.
- د. صلاح فضل ، بلاغة الخطاب وعلم النص ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، لونجمان ، ط1، 1996م.
- الإمام الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير ، دار سحنون ، تونس،مكتبة مصر بالقاهرة ،د.ت
- الإمام عبد الحق بن غالب بن عطية(546هـ): المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، تحقيق: هاني الحاج ، دار التوفيقية للتراث،القاهرة ، 2001م.
- د.عبد الرحمن ربيع سيد : ظاهرة الترتب في اللغة العربية (دراسة في التركيب والدلالة) رسالة ماجستير ، محفوظة، 2013م، كلية دار العلوم جامعة القاهرة.
- عبد العزيز علي صالح: الشرط في القرآن الكريم ، مخطوطة(ماجستير) بكلية دار العلوم، جامعة القاهرة ، 1976م.
- د. عبد الكريم محمد جبل: في علم الدلالة – دراسة تطبيقية في شرح الأنبا ري للمفضليات-، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1997م.
- عبد الله بن يوسف ابن هشام الأنصاري(ت 761هـ): قطر الندى، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية ، د.ت.
- أوضح المسالك على شرح الألفية ،تحقيق:يوسف البقاعي،دار الفكر، 2003م.
- شذور الذهب.تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع،2004م.
- علي بن محمد الشريف الرضي(الجرجاني) (816 هـ): كتاب التعريفات، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر،مكتبة لبنان ، 1985م .
- (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر) سيبويه: الكتاب، تحقيق وشرح :عبد السلام هارون ، مكتبة الخانكي بالقاهرة ط3، 1988م.

- د.فايز الداية : علم الدلالة العربي، دار الفكر، دمشق ، 1985م.
- فريد عوض حيدر :اتساق النص في سورة الكهف، زهراء الشرق ، القاهرة ، 2004م.
- الإمام القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت 761هـ) :الجامع لأحكام القرآن ،دار الحديث، د.ت.
-ابن قيم الجوزية(محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد) (ت 751هـ): بدائع الفوائد ، القاهرة ، المكتبة التوفيقية ، د,ت.
- د.محمد خطابي : لسانيات النص ، مدخل إلى انسجام الخطاب، ،المركز الثقافي العربي، بيروت ، ط1، 1991م.
- د. محمد زغلول سلام ، دراسات في القصة العربية الحديثة ـ منشأة المعارف ،الإسكندرية د.ت.
- محمد أبو زهرة : المعجزة الكبرى، دار الفكر العربي،د.ت.
- :زهرة التفاسير ،دار الفكر العربي، د.ت.
- أبو بكر محمد بن سهل ابن السراج (ت 316هـ):الأصول في النحو ، تحقيق د. عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، د.ت.
- د.محمد العبد : النص والخطاب والاتصال، ،الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة ، ط1، 2005م
- : اللغة والإبداع الأدبي، مكتبة دار المعارف ، ط2، 2007م.
- (بدر الدين) محمد بن عبد الله الزركشي(794هـ):البرهان في علوم القرآن ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، بيروت ، دار المعرفة ، ط2، د.ت.
- أبو العباس، محمد بن عبد الله بن العباس (ابن الوراق) (ت 381هـ):علل النحو،تحقيق: محمود جاسم الدرويش، مكتبة الرشد ،الرياض، 1420هـ ،1999م.
- أبو العرفان محمد بن علي الصبان (ت 1206هـ):حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1997م.
- محمد بن مكرم بن علي بن منظور(ت 711هـ) : لسان العرب، دار المعارف ، د.ت.

- أبو العباس محمد بن يزيد (المبرد): المقتضب ، تحقيق : محمد عبد الخالق عضيمة ، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ، 1994م.
- أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري جار الله(ت 538 هـ) :المفصل في النحو،تحقيق:د.علي بو ملحم ، مكتبة الهلال ، بيروت ، 1993م.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، شرحه وضبطه : يوسف الحمادي ،مكتبة مصر ،القاهرة ، د.ت.
- محي الدين الدرويش:إعراب بالقرآن الكريم ، دار اليمامة،دمشق ، ط5، 2009م.
- المعجم الوسيط: مكتبة الشروق الدولية ، ط4، 2004م،
- د.نجم عبد الله كاظم مشكلة الحوار في الرواية العربية , منشورات اتحاد كتاب الإمارات ط1 سنة 2004م.
- أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله (الفراء) (ت 207هـ): معاني القرآن ،تحقيق:أحمد يوسف النجاتي وآخرون ، دار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ، 2010م.
- أبو البقاء يعيش بن علي ابن يعيش(ت 643هـ): شرح المفصل للزمخشري، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2001م.

المراجع المترجمة:

- براون ويول: تحليل الخطاب، ترجمة: محمد لطفي الزليطي ونير التريكي- الرياض،1997م،
- تون فان ديك: علم النص مدخل متداخل الاختصاصات ، ترجمة : د. سعيد بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة،2005م.
- روبرت دي جراند :النص والخطاب والإجراء، ترجمة:د. تمام حسان، عالم الكتب ، القاهرة ، ط1، 1998م.
- فولفانج هاينة مان وديتر فهفجر: مدخل إلى لغة النص ، ترجمة: د. سعيد حسن بحيري. ، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط 1، 2004م.

- المراجع الأجنبية:

Betty Bamberg: What Makes a text Coherent ?